ترتيبها ٨ | سورة الأنفال | آياتها ٧٥

مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١) ﴾

الأنفال هى الغنائم، والسؤال هنا عن غنائم موقعة بدر، ولما اختلفوا فى قسمتها سألوا رسول الله (ﷺ) فأنزل الله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ ﴾ قل لهم يا محمد: إنك ستقوم بتوزيع الغنائم طبقًا لما يوحى الله إليك، فاتقوا الله وأصلحوا العلاقات بينكم ولا تختلفوا، فالأمر قد حدده الله ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

* * *

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ﴾.

المؤمنون هم الذين إذا ذكر الله فى مجلسهم، خافت وخشعت وخضعت قلوبهم لأمر الله وحكمه، وإذا ما تُليت عليهم آياته ازدادوا إيمانًا على إيمانهم، وتوكلوا، مطمئنين، على خالقهم.

* * *

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) ﴾

والمؤمنون هم الذين يقيمون الصلاة فى أوقاتها ويتمون أركانها، ويقومون بما أمرت به، وينتهون عما نهت عنه، ويذكرون الله بها، وينفقون أموالهم فى سبيل الله، وتلك علامات الإيمان الحقيقى، وأولئك لهم فى الآخرة الدرجات العالية فى الجنة، مع المغفرة والرزق الكريم.

***

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٦) ﴾

قال الطبرى: [أولى الأقوال عندى بالصواب قول من قال بقول مجاهد: كما أخرجك ربك بالحق على كره من فريق من المؤمنين، يجادلونك فى الحق بعد ما تبين القتال] ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ من شدة خوفهم وتمسكهم بالحياة، كأنما يُدفعون إلى القتل وهم ينظرون.

***

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨) ﴾

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ ﴾ إما الفوز بتجارة قريش ـ تعويضًا لكم عن بيوتكم وأموالكم وتجاراتكم التى هاجرتم إلى المدينة وتركتموها لقريش التى اضطهدتكم وقمعتكم حتى اضطررتم للالتجاء لشعب أبى طالب، وبعضكم هاجر للحبشة، ثم اضطررتم للهجرة للمدينة ـ أو الانتصار على قريش فى القتال ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ الشوكة هى السلاح، وقد أحب فريق من المؤمنين الغنائم من تجارة قريش أكثر من قتال قريش ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ والله يريد مواجهة جيش الكفر ليُعلى كلمة الحق بالقتال، وتبدأ نهاية كفار قريش ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾.

***

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) ﴾

تذكروا أيها المسلمون وأنتم تختلفون ـ على أنصبتكم فى الغنائم ـ أنكم كنتم تستغيثون بالله طالبين النصر، فاستجاب لكم ربكم وأمدكم بألف من الملائكة ﴿ مُرْدِفِينَ ﴾ متتابعين ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وما جعل الله مدد الملائكة لكم إلا ليبشركم بالنصر، وما النصر إلا من عند الله. قال الطبرى: [بشارة لكم، تبشركم بنصر الله إياكم على أعدائكم ولتسكن قلوبكم بمجيئها إليكم وتوقن بنصر الله لكم، وما تنصرون على عدوكم، أيها المؤمنون، إلا أن ينصركم الله عليهم]، وقال الزمخشرى: [﴿ إِلاَّ بُشْرَىٰ ﴾ إلا بشارة لكم بالنصر، كالسكينة لبنى إسرائيل، يعنى أنكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم، فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينًا لكم وربطًا على قلوبكم ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾]، وقال الرازى: [اختلفوا فى الملائكة، هل قاتلوا يوم بدر؟ وقيل: قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم الأحزاب ويوم حنين. والذى يدل على صحة أن الملائكة ما نزلوا للقتال قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ ﴾]، بينما قال مخلوف: [قاتلت الملائكة فى بدر على الصحيح، ولم تقاتل فى غيرها].

***

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ (١١) ﴾.

أنزل الله عليكم شيئًا من النعاس حتى تطمئن قلوبكم ويتجدد نشاطكم ـ وكثيرًا ما يمر المرء بمثل هذه التجربة، فينعس دقائق قليلة ثم يستيقظ وافر النشاط والأمل والعزم، وبروح جديدة وتفكير مختلف عن حاله قبل ذلك النعاس ـ ثم أنزل الله عليكم من السماء ماءً ﴿ لِّيُطَهِّرَكُم ﴾ لتغتسلوا وتستردوا طاقاتكم ومعنوياتكم ﴿ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾ ويخلصكم من وسوسة الشيطان بالضيق والشدة والاضطراب ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ ﴾ يشد ويقوى قلوبكم ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾ تثبيتًا فعليًا لتقوى على القتال، وتثبيتًا معنويًا بالعزيمة والإصرار.

***

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣) ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (١٤) ﴾.

ولأن الله أراد النصر للمؤمنين، فقد أوحى إلى ملائكته ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾ إنى معينكم على ما كلفتم به ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قووا قلوبهم وثبتوا أقدامهم ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ سأدخل الخوف على قلوب الكفار ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ قال الطبرى: [الصواب من القول فى ذلك أن يُقال: إن الله أمر المؤمنين أن يضربوا فوق الأعناق. . . واضربوا أيها المؤمنون من عدوكم كل طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم]، وقال الزمخشرى: [فالضاربون على هذا هم المؤمنون] وقال من قال باشتراك الملائكة فى القتال: الأمر للمؤمنين وللملائكة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ خالفوا وعصوا الله ورسوله ﴿وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فليذوقوا عاقبة حربهم لله ولرسوله، وفى الآخرة ينتظرهم عذاب النار. قال محمد الغزالى: [لكن النصر الإلهى لا يستحقه من يفرط فى الأسباب، وأول هذه الأسباب شجاعة تغرى بالإقدام ما تهاب الردى، فهى تركل الدنيا رغبة فى الآخرة].

* * *

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾.

يا أيها الذين آمنوا اثبتوا فى مقاتلة الكفار، ولا تخافوهم ولا تنسحبوا من أمامهم إلا أن يكون ذلك للمناورة أو للالتحاق بمجموعة مقاتلة أخرى، ومن ينسحب من قتالهم فقد وقع عليه غضب من الله ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

* * *

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾.

يوقن المؤمن بأن الله هو واهب النصر، فإن كنتم أيها المسلمون قد انتصرتم فلا تفتخروا وتتباهوا بقوتكم، فالله هو الناصر؛ وما رميت ـ أيها الرسول ـ إذ كنت ترمى التراب والحصى فى وجوه الكفار، ولكن الله هو الذى رمى، وما رميت أيها الرامى بقوسك أو رمحك، أو ضارب بسيفك، فلولا فضل الله عليك ما رميت ولا ضربت ولا لاحا لفك التوفيق ﴿لِيُبْلِيَ

الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا ﴾ لكى ينعم على المؤمنين بعمل حسن، له نتيجة حسنة فى الدنيا والآخرة ﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ والله مُضعفٌ كيد الكافرين.

***

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩) ﴾

راح المشركون يتعلقون بأستار الكعبة ويطلبون الفصل والحكم بينهم وبين المسلمين، فقال تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ الخطاب لكفار مكة الذين كانوا يدعون الله أن يفصل بينهم وبين محمد (ﷺ) ومن معه، فقال سبحانه وتعالى إن تطلبوا القضاء بينكم وبين المسلمين فقد جاءكم، وانتصر المسلمون عليكم ﴿ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ وإن انتهيتم عن الكفر فهذا أفضل لكم ﴿ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ ﴾ وإن عدتم لكفركم عدنا عليكم، ولن تنفعكم جماعتكم وإن كثر عددها؛ لأن الله دائمًا وأبدًا مع المؤمنين.

***

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣) ﴾

يا أيها المؤمنون أطيعوا ربكم، وأطيعوا رسولكم، ولا تعرضوا عنه بمخالفته وأنتم تسمعون قوله مؤمنين به، ولا تكونوا كالمشركين والمنافقين الذين يقولون إنهم استمعوا لكلام الرسول (ﷺ) ولكن فى الحقيقة هم رافضون سماعه، إن شر من يدب على الأرض ﴿ الصُّمُّ ﴾ عن سماع الحق ﴿ الْبُكْمُ ﴾ عن النطق به ﴿ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ﴾ الذين لا يُحكِّمُونَ عقولهم ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ لو كان فيهم خيرًا، لجعلهم الله يسمعون بآذانهم وقلوبهم، ولكن هؤلاء الجاحدين لو فرض الله عليهم السماع، لسمعوا، ثم استمروا فى إعراضهم.

***

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) ﴾

قال بعض المفسرين : إن المقصود الاستجابة للقتال فى سبيل الله ، ولكن ألفاظ الآية تحتمل أعم من ذلك ، فهى أمر بالاستجابة لكل ما يؤدى للحياة الحقة فى الآخرة ، من إتيان الطاعات - ومنها القتال فى سبيل الله - واجتناب المنهيات . وتطمئن الآية المؤمنين بأن الله يقف معهم ضد أهوائهم .

***

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) ﴾

قال مخلوف : [احذروا ابتلاءً من الله تعالى ومحنة تنزل بكم ، تعم السيئ وغيره ، كالقحط والغلاء ، وتسلط الظلمة وغير ذلك . والمراد التحذير من الذنوب التى هى أسباب الابتلاء ، كإقرار المنكرات والبدع والرضا بها ، والمداهنة فى الأمر بالمعروف ، وافتراق الكلمة فى الحق ، وتعطيل الحدود ، وفشو (تفشى) المعاصى ونحو ذلك . وفى حديث عائشة : قال الرسول (ﷺ) : «إذا ظهر السوء فى الأرض ، أنزل الله بأهل الأرض بأسه» فقالت : وفيهم أهل طاعة الله؟ قال : «نعم ، ثم يصيرون إلى رحمة الله» رواه أحمد والطبرانى] . وفى الآية مسئولية الفرد عن المجتمع خاصة الحكام والعلماء .

***

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦) ﴾

واذكروا عندما كنتم قليلى العدد فى مكة ﴿ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ تخشون قريش وبقية العرب الذين استحلوكم ﴿ فَآوَاكُمْ ﴾ فى المدينة ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ لعلكم تشكرون الله ، وتسلكون سبيله .

***

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨) ﴾

تعددت الأقوال فى سبب نزول الآية ، وقال الطبرى : [أولى الأقوال بالصواب أن يُقال : إن الله نهى المؤمنين عن خيانته وخيانة رسوله ، وخيانة أماناتهم ، وجائز أن تكون نزلت فى أبى

obeikandl.com

لبابة، وجائز أن تكون نزلت في غيره. واعلموا أيها المؤمنون أنما أموالكم التي خولكموها الله، وأولادكم التي وهبها الله لكم اختبارًا وبلاء، واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم على طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، في أموالكم وأولادكم التي اختبركم بها في الدنيا].

***

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) ﴾

اتقوا الله أيها المؤمنون في كل ما تقولونه وتفعلونه في السر والعلن، يبين الله لكم الفرق بين الحق والباطل، ويغفر ذنوبكم ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾.

***

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠) ﴾

تذكر يا محمد مكر قريش بك عندما كنت في مكة، عندما راحوا يتشاورون فيما بينهم ليحبسوك وليمنعوك من الدعوة إلى الله ﴿ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾ على يد شاب من كل قبيلة، أو يخرجوك من بلدك مكة ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴾ يدبرون لك كل هذا، والله يدبر ما يبطل مكرهم.

***

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣١) ﴾

انظروا أيها المؤمنون إلى الكفار عندما تتلى آيات القرآن فيقولوا تكبرًا وجحودًا: لقد سمعنا ما تتلوه ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ﴾ فما هذا إلا مجرد حكايات الأمم السابقة مسطورة في كتب الأولين.

***

﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣)

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٣٤) وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥) ﴾

انظروا إلى عنادهم وتحديهم ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾ إن كان هذا القرآن من عند الله حقًا ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ بدلاً من أن يقولوا إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه! ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ وأنت بين ظهرانيهم تدعوهم إلى الله، وقال أكثر المفسرين: المقصود هنا عذاب الاستئصال ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ولا يعذب الله قومًا يستغفرون. قيل: المقصود يستغفر المسلمون الذين بينهم، وقيل: المسلمون ومن يستغفر الله من بقية قريش، وقد أسلم معظمهم وحسن إسلامهم فيما بعد.

قال الماتريدى: [.. روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ ولكن يعذبهم تعذيب القتال والجهاد ولا يعذبهم تعذيب استئصال على (مثل) ما أهلك سائر الأمم]، وقال الطبرى: [أولى الأقوال عندى بالصواب ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) ﴾ من ذنوبهم وكفرهم، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك، بل هم مصرون عليه، فهم للعذاب مستحقون ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ بمعنى: وما شأنهم، وما يمنعهم أن يعذبهم الله وهم لا يستغفرون الله من كفرهم فيؤمنوا به، وهم يصدون المؤمنين بالله ورسوله عن المسجد الحرام؟].

فحال بعض الكافرين فى ذلك الوقت تبرر تعذيبهم، أولئك الذين علم الله أنهم لن يؤمنوا ولو جاءتهم كل آية، وقد قتلوا فى بدر وفى غيرها من المعارك على كفرهم ﴿ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ يمنعون الرسول والمؤمنين من دخوله ﴿ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ ﴾ ليس أولئك الكافرون بأولياء المسجد الحرام الذين يطيعون ربهم ولا يعصونه، وما دعاؤهم عند الكعبة إلا ﴿ مُكَاءً ﴾ صفيرًا ﴿ وَتَصْدِيَةً ﴾ تصفيقًا؛ أى ذبذبات هواء تخرج من حناجرهم، ليس لها أصل من شرع، ولا قبول من شارع، ويستحقون عذاب الله جزاء كفرهم.

***

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧) ﴾

نزلت هذه الآية فيمن ينفق من ماله على محاولات استئصال الرسول (ﷺ) ومن معه من المسلمين، وفى الصد عن سبيل الله، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ سيعود عليهم هذا الإنفاق بالحسرة والندامة ﴿ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ فى الدنيا، ثم فى الآخرة يحشرون إلى النار ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ ليميز المؤمن من الكافر، ثم يجمع الخبيث بعضه على بعض ويزج به فى جهنم، وهذا هو الخسران المبين.

روى محمد بن إسحاق عن الزهرى وغيره قالوا: لما أصيبت قريش يوم بدر، ورجع فلهم ـ أى جيشهم المهزوم ـ إلى مكة؛ ورجع أبو سفيان بعيره (بتجارته)، مشى عبد الله بن ربيعة، وعكرمة بن أبى جهل، وصفوان بن أمية، فى رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب، ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمداً قد وتركم (قتل أحباءكم) وقتل خياركم! فأعينونا بهذا المال على حربه، لعلنا أن ندرك منه ثأرًا بمن أصيب منا. ففعلوا. فقال: ففيهم ـ كما ذكر ابن عباس ـ أنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ... ﴾.

وليس هذا الذى حدث قبل بدر وبعدها إلا نموذجًا من الأسلوب التقليدى لأعداء هذا الدين.. إنهم ينفقون أموالهم، ويبذلون جهودهم، ويستنفدون كيدهم، فى الصد عن سبيل الله، وفى إقامة العقبات فى وجه هذا الدين. وفى حرب الإسلام والمسلمين فى كل أرض وفى كل حين.

إن المعركة لم تنته ولن تنتهى إلى يوم الحساب، ولذلك جاء فى الحديث: «الجهاد ماضٍ فى أمتى إلى يوم الحساب» رواه أبو داود.

***

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (٣٨) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٤٠) ﴾

باب الرجاء والتوبة لا يغلق حتى يغرغر الإنسان، فإن انتهى الكفار عن معاداة الرسول (ﷺ) ودخلوا في دين الله ﴿ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ من الذنوب ﴿ وَإِن يَعُودُوا ﴾ إلى ما نهوا عنه ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ ﴾ فسيحدث لهم ما حدث للأمم السابقة الهالكة ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ ﴾ يا أيها الرسول ومن معك من المؤمنين قاتلوا الكفار ﴿ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ حتى يتوقفوا عن فتنة المسلمين ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ فلا يعبد المسلمون غيره ﴿ فَإِنِ انتَهَوْا ﴾ عن عداوة المسلمين ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ يعلم مدى صدقهم ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا ﴾ ولم ينتهوا ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ .

***

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء العاشر

سورة الأنفال

من الآية ٤١ حتى نهايتها (الآية ٧٥)

وسورة التوبة

من بدايتها حتى الآية ٩٢

obeikandl.com

﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير (٤١) ﴾

قال الطبرى: [. . كان خمس لله ولرسوله، ويقسم المسلمون ما بقى. وكان الخمس الذى جعل لله ولرسوله خمس أخماس: خمس لله ورسوله، وخمس لذوى القربى، وخمس لليتامى، وخمس للمساكين، وخمس لابن السبيل]، وقال مخلوف: [. . يعطى أربعة أخماسها للمقاتلة الذين أحرزوها، والخمس الباقى كان فى عهد النبوة خمسة أسهم: للرسول، ولذى القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل. وقوله ﴿ فأن لله خمسه ﴾ أى فحكمه أن لله خمسه، وذُكر الله - تعالى - لبيان أنه لا بد فى الخمس من إخلاصه له تعالى. وأما بعده (بعد رسول الله ﷺ) فقد سقط سهمه كما سقط سهم ذوى القربى، وإنما يعطون لفقرائهم، ولا يعطى أغنياؤهم. وقيل يصرف سهم رسول الله (ﷺ) بعده لمصالح المسلمين وما فيه قوة لهم. وتفصيل المذاهب فى قسمة الخمس وفى الفىء فى كتب الفروع]، وقال محمد الغزالى: [وظاهر من سيرة الرسول وصحابته أن هذا ليس حكمًا دائمًا لازمًا. فقد خضعت الغنائم لتقسيمات أخرى مناسبة، آخرها ما وقع فى أرض السواد ومصر وغيرهما على نحو ما فعل عمر!.

وقضية الغنائم تحتاج إلى تعليق مهم، فإن السلف الأول كانوا يجاهدون متطوعين لا ينالون أجرًا، وكان الذى يخرج من بيته يشترى سلاحه من ماله الخاص، ويدع لأهل بيته نفقاتهم من جهده وحده. ويتعهد عُدّته للقتال دون انتظار عون من حكومة قائمة!!

فهل جعل الغنائم للمقاتلين - والحالة هذه - يعتبر عملاً مستغربًا؟ إنه مسلك معقول.

لكن إذا تغيرت الأوضاع وأنشئ جيش منظم، ودفعت رواتب للجنود، ووضع فى أيديهم السلاح، وضمنت مداواة الجرحى وكفالة الشهداء، فلا لوم على الدولة إذا تصرفت فى الغنائم بأسلوب آخر!.

ونلاحظ أن آية الغنائم معترضة بين أمرين:

الأول وصف عدوان الكافرين الذين ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله، ويبذلون قصاراهم لفتنة المستضعفين، وفرض ضلالهم بالسلاح!.

والثانى وصف الهديّة التى ساقها القدر إلى المسلمين حينما يسرّ لهم نصرًا غاليًا لم تكن لهم يد فى ترتيب مقدّماته ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) ﴾.

وظاهر أن الله ـ تبارك اسمه ـ قمع كبرياء الجاهلية بضربة لم تخطر ببال أفقدت المشركين رشدهم، وبعثرتهم خزايا فوق رمال الصحراء!. وشدّت أصلاب المسلمين ونضّرت وجوههم وعوّضتهم فى ساعة ما عانوه خلال خمس عشرة سنة!!.

لقد كان (أنوف) يوم بدر يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، جمع التوحيد وجمع الشرك، فأذل الله معاطس (أنوف) طالما استكبرت بالباطل وأنعش مؤمنين طالما صابروا الليالى المعنتة!] ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ ﴾ سواء قل أو كثر ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ ابن السبيل هو الغريب عن داره يرجو العودة إلى بيته ولا يملك نفقات السفر. عليكم تطبيق هذه القسمة العادلة ﴿ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ من آيات القرآن، وتأييد الله بإنزال الملائكة، ثم هذا النصر المبين ﴿ يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴾ هو يوم بدر؛ لأن الله فرق فيه بين الحق والباطل ﴿ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ والله على كل شىء قدير.

***

﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) ﴾

﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾ نازلون إلى بدر من جهة المدينة ﴿ وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ ﴾ والكفار آتون من جهة مكة ﴿ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ قافلة التجارة بقيادة أبى سفيان أسفل من مكانكم إلى ساحل البحر الأحمر. وقد خرج المسلمون يبغون عير قريش، فجمع الله بينهم وبين عدوهم بغير ميعاد ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾ لو كان هذا تواعدًا بينكم على القتال لما كان هذا اللقاء الحاسم ﴿ لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ معركة بدر وما أسفرت عنه

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ فالأول قاتل رسول الله (ﷺ) ومن معه، فتلك بينة على كفره سواء مات أو عاش، والثانى قاتل مع رسول الله (ﷺ) ضد أعدائه، فتلك بينة على حياته خاصة لو استشهد.

***

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤)﴾

أراك الله فى المنام جيش قريش قليلاً ـ فلقد كانوا نحو تسعمائة وخمسين مقاتلاً ـ ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ لتهيبتم وتفرقت كلمتكم ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ولكن الله نجاكم من العواقب الوخيمة؛ فهو خبير بما فى قلوبكم من إيمان، ومن نوازع بشرية. وفى المقابل أظهر الله المسلمين فى أعين الكفار قليلاً ليطمعوا فى قتالهم ويستهتروا بهم ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ ليتم قضاء الله فى معركة بدر ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

***

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)﴾

هاتان الآيتان تضمنتا خمس نصائح لبلوغ النصر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ والثبات حين البأس يتطلب قلبًا مفعمًا باليقين، وروحًا تتطلع للشهادة ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وذكر الله يقوى الروح والبدن، ويعطى معنى للحياة بأكملها ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ احرصوا على طاعة ربكم ورسوله فى الأوامر والنواهى، سرًا وعلانية، فى السراء والضراء، وطاعة الرسول (ﷺ) بعد وفاته هى فى اتباع سنته ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ لا تتنازعوا فتفشلوا، فالتنازع يؤدى للفرقة والانقسام، والاتفاق يؤدى للوحدة والقوة ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ تذهب قوتكم ودولتكم، وأطلق على الدولة ريح، كما يُقال هبت ريح فلان، كما نقول الآن ارتفعت أسهم فلان ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

***

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨) ﴾

لا تكونوا كأبى جهل وأصحابه، وقد جاءهم رسول أبى سفيان وهم بالجحفة: أن ارجعوا فقد سلمت عيركم، فأبوا وقالوا: لا نرجع حتى نأتى بدرًا فننحر الجُزرَ، ونسقى بها الخمر، وتعزف علينا فيه القيان (المغنيات من الجوارى)، وتسمع بنا العرب ﴿ بَطَرًا ﴾ طغيانًا فى النعمة بترك حمد الله عليها، زهوًا وتفاخرًا وتعاليًا ﴿ وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾ مراءاة للناس، طلبًا للسمعة والشهرة، وعندما قيل لهم ارجعوا فقد سلمت العير، قالوا: لا والله حتى يتحدث أهل الحجاز بمسيرنا، فى الوقت الذى هم فيه ﴿ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ والله عليم بعملهم، قادر عليهم ﴿ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾ زين الشيطان لهم قتال رسول الله (ﷺ) ومن معه من المؤمنين، وغرهم بمساعدته وحمايته لهم ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ ﴾ فلما تلاقى الكفار مع المسلمين ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ ترك وسوسته لهم بالقتال ﴿ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ كثيرًا ما يتبرأ دعاة المعصية والفساد، خاصة المنافقين، من تابعيهم، ولكن بعد فوات الأوان ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ هل ذلك الشيطان من شياطين الإنس أم من شياطين الجن؟ نقل كثير من التفاسير أن الشيطان تمثل فى شخصية سراقة بن مالك بن جعشم، ونقل الماتريدى قول أبى حيان [لا يحتمل هذا؛ لأن أهل مكة كانوا جبابرة وأهل قوة وبطش وبأس، فلا يحتمل أن يصدروا عن آراء رجل هو دونهم (سراقة بن مالك)]، كذلك ما كان سراقة ليقول إنى أخاف الله والله شديد العقاب، وهذا الفعل والقول يناسب شيطانًا من المنافقين والله أعلم.

* * *

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٥١) ﴾

عندما خرج رسول الله (ﷺ) ومعه المسلمون للقاء قريش يوم بدر، قال ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾ لقد اغتر المسلمون بدينهم، فخرجوا لملاقاة قريش رغم قلة عددهم، فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ من يتوكل على

الله، فقد توكل على العزيز الحكيم، نعم المولى ونعم النصير ﴿ولَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ﴾ عندما تأتى ملائكة الموت لقبض أرواح الكفار تراهم ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ يؤذونهم من أمامهم ومن خلفهم، يؤكدون لهم سوء مستقبلهم، وسوء أعمالهم الماضية ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

* * *

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

مثل هؤلاء الكافرين والمنافقين الذين فى قلوبهم مرض، مثل فرعون والأمم الظالمة السابقة، التى كفرت بآيات الله فعاقبهم الله بذنوبهم ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وإن الله لا يبدل النعمة إلى غضب ونقمة إلا عندما يغير القوم مافى أنفسهم من إيمان وشكر إلى جحود وكفر و﴿اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بما فى النفوس، يعاقب الكافرين كما أغرق فرعون وآله من قبل، وأهلك كل الظالمين بعدما كذبوا آيات ربهم.

* * *

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾

إن شر الخلق عند الله الكفار؛ كلما عقدت معهم عهداً نقضوه المرة تلو المرة؛ لأنهم ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ و﴿لا يَتَّقُونَ﴾ عاقبة غدرهم، بما زينت لهم أنفسهم.

* * *

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

فإذا واجهتهم وظفرت بهم فى الحرب ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فأغلظ لهم العقوبة مما يؤدى إلى تشريد الجماعات الأخرى التى تريد نهبكم واستئصالكم، لعلهم يتذكرون عاقبة نقض العهود ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ وإذا ظهرت لك بوادر خيانة قوم بينكم وبينهم ميثاق وسلام، فرد عليهم ميثاقهم حتى يتبين لهم أنك

تحللت من ميثاقهم، ولا تفعل مثلهم، إذًا يخدعونك بالميثاق ثم ينقضونه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ وجاء فى الحديث «ثلاثة المسلم والكافر فيهن سواء: من عاهدته فوف بعهده مسلمًا كان أو كافرًا، فإنما العهد لله، ومن كانت بينك وبينه رحم فصلها مسلمًا كان أو كافرًا، ومن ائتمنك على أمانة فأدها إليه، مسلمًا كان أو كافرًا» رواه البيهقى.

***

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠)﴾

لا يحسب الذين كفروا أنهم نجوا بأعمالهم، فهم لن يعجزوا الله هربًا، ولن يفلتوا من العقاب. وأعدوا أيها المؤمنون كل ما تستطيعون من قوة حتى ترهبوا عدو الله وعدوكم، وآخرين من المنافقين والكارهين لكم والكارهين للإسلام الحاقدين عليكم وعلى الإسلام، لا تعلمونهم من حيث نفاقهم، ولكن الله يعلمهم. واعلموا أن ما تنفقون من نفقة فى سبيل الله تعود عليكم بأوفى مما أنفقتم. وجاء فى الحديث «ما نقص مال من صدقة» رواه مسلم والإنفاق فى حماية المسلمين هو حياة لهم قبل أن يكون صدقة.

***

﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)﴾.

الآية للرسول (ﷺ) ومن معه، وللمؤمنين من بعدهم وإلى يوم الحساب: إن طلبوا السلم، فاطلب السلم الذى يطلبونه، وليس أن تترك الاستعداد للحرب لكلمة خادعة منهم، وأفعالهم تؤذن بالعدوان ــ إن لم تكن عدوانًا فعليًا ــ وإن يريدوا خداعك، فيكفيك توكلك على الله واتباع شرعه، وهو الذى أيدك بنصره، وباتباع المؤمنين لك، وألف بين قلوب المؤمنين (العرب فى ذلك الوقت) ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ﴾ تبين الآية فى وضوح وحزم وقطع وجزم، أنه لن يؤلف بين قلوب العرب إلا اتباعهم كلمة الله، فإن أعرضوا عنها اختلفت قلوبهم، ولقد جسد تاريخ العرب قديمًا وحديثًا ومعاصرًا تلك الآية الفذة ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

***

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦) ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ يكفيك في جميع أحوالك ـ أنت والمؤمنين ـ أن يكون الله حسيبك وناصرك ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ واعلم أنه ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ بإذن الله ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ لأنهم قوم لا يدركون أن المؤمن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وشعاره هو النصر أو الشهادة في سبيل الله ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ عندما شق وصعب على المسلمين أن يكون المقاتل في مواجهة عشرة من الكفار، خففت هذه الآية عنهم ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ ﴾ وذلك أيضًا بشرط الصبر على الجهاد. قال مخلوف: [(ذلك) خبر بمعنى الأمر] ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾.

* * *

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) ﴾.

الإثخان هو المبالغة، والمقصود هنا المبالغة في قتال أولئك الذين جاءوا لاستئصال محمد (ﷺ) والمسلمين الذين معه، ومعنى الآية أنه لم يكن للنبي (ﷺ) ومن معه أن يحرصوا على أخذ الأسرى قبل أن يقتلوا من كانوا يستطيعون قتله من أولئك المعتدين في ساحة القتال، حتى يرتدع من يبقى منهم ومن خلفهم عن فكرة استئصال المسلمين، وهاهم قد عادوا لاستئصال المسلمين في أحد، وبعد ذلك في الأحزاب. قال الرازي: [قوله (تعالى) ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ يدل على أن الأسر كان مشروعًا، ولكن بشرط سبق الإثخان في الأرض، والمراد بالإثخان هو القتل والتخويف الشديد، وليس من شرط الإثخان في الأرض قتل جميع الناس ويتأكد هذا الكلام بقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ [محمد: ٤]] ـ وتبين هذه الآية بوضوح أن الحكم الشرعي الأصلي في الأسرى هو إما المن عليهم بإطلاق سراحهم، أو قبول الفدية لإطلاق سراحهم. ولو أراد الله قتل الأسرى لأمر محمداً (ﷺ) بذلك بعد أن صاروا في قبضته، ولكن الله أراد من المسلمين ألا يفكروا في غنائم الأسرى وهم يقاتلون من جاء لاستئصالهم. وتعددت أقوال

المفسرين فى ذلك الكتاب، فمنهم من قال إن الله لا يؤاخذ من عمل شيئًا بجهالة، أو إحلال الغنيمة، أو المغفرة لأهل بدر، أو العفو عن المجتهد المخطئ ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ تؤكد هذه الآية أن الأسر جائز، ولكن ليس طمعًا فى الفداء، ولذلك تنتهى الآية بالأمر بتقوى الله الذى يعلم خبايا النفوس[1].

***

---

(١) تردد آلة الإعلام الصهيونية بصفة خاصة وآلة الإعلام الغربية بصفة عامة، ويردد وراءها بعض الغافلين، سواء كانوا مخدوعين أو حالمين أو غاشين، أن القرآن يدعو للعنف، ويغضون الطرف عما جاء فى التوراة، ففى سفر التثنية جاء فى الإصحاح ٢٠ تحت عنوان: شرائع حصار وفتح المدن البعيدة:

وحين تتقدمون لمحاربة مدينة . . .

. . فإذا أسقطها الرب إلهكم فى أيديكم، فاقتلوا جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما فى المدينة من أسلاب فاغنموها لأنفسكم. . هكذا تفعلون بكل المدن النائية عنكم التى ليست من مدن الأمم القاطنة هنا (١٠-١٥).

وتحت عنوان شرائع حصار وفتح مدن أرض الموعد:

أما مدن الشعوب التى يهبها الرب إلهكم لكم ميراثًا فلا تستبقوا فيها نسمة حية، بل دمروها عن بكرة أبيها، كمدن الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين: (١٦-١٧).

فى سفر يشوع، وتحت عنوان الاستيلاء على المدينة (عاى):

وعندما تم القضاء على جيش عاى فى الصحراء . . . رجع المحاربون الإسرائيليون إلى عاى، وقتلوا كل من فيها. فكان جميع من قتل ذلك اليوم من رجال ونساء اثنى عشر ألفًا وهم جميع أهل عاى. وهكذا أحرق يشوع عاى وحولها إلى تل خراب أبدى إلى هذا اليوم - ٨: ٢٤-٢٨.

وفى سفر صموئيل الأول، جاء فى الإصحاح ١٥ تحت عنوان الحرب مع عماليق:

هذا ما يقوله رب الجنود (أى الله): . . لا تعف عن أحد منهم، بل اقتلهم جميعًا رجالاً ونساء وأطفالاً ورضعًا، بقرًا وغنمًا، جمالاً وحميرًا (٣).

ويمكن استخراج عشرات النصوص المشابهة من العهد القديم. أما النساء الأسيرات، فاقرأ:

تطهير المحاربين وقتل النساء الأسيرات: ..

فخرج موسى وألعازار وكل قادة إسرائيل لاستقبالهم إلى خارج المخيم، فأبدى موسى سخطه على قادة الجيش من رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من الحرب، وقال لهم: «لماذا استحييتم النساء؟ إنهن باتباعهن نصيحة بلعام أغوين بنى إسرائيل لعبادة فغور، وكن سبب خيانة للرب، فتفشى الوبأ فى جماعة الرب. فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، واقتلوا أيضًا كل امرأة ضاجعت رجلاً، ولكن استحيوا لكم كل عذراء لم تضاجع رجلاً - سفر العدد ٣١: ١٣-١٨.

وقد مارست إسرائيل الإرهابية قتل المدنيين من الشيوخ والنساء والأطفال، منذ مذبحة دير ياسين الشهيرة، وهناك ما يزيد على ثلاثين مذبحة مماثلة من أربعينيات القرن العشرين حتى اليوم، وفى غزو لبنان ٢٠٠٦، وغزة فى نهاية ٢٠٠٨ وبداية ٢٠٠٩، صرح حاخامات إسرائيل أن من حق الجيش الإسرائيلى قتل المدنيين من شيوخ ونساء وأطفال، وأصدروا عدة كتب تبيح ذلك القتل، منها: *شريعة الملك: متى يسمح لليهودى بقتل الأغيار وأبنائهم؟ - توضيح الموقف التلمودى*، وكذلك مارست إسرائيل قتل الأسرى المصريين والعرب، تطبيقًا لنصوص التوراة.

ومعلوم أن المسيحيين يؤمنون بالعهد القديم، كلمة الله الصحيحة الواجب اتباعها. وإذا انتقلنا للعهد الجديد، وهو كتاب المسيحيين، لوجدنا فى سفر الرؤيا، آخر أسفار العهد الجديد، نبوءة تقتضى قيام حرب فى هرمجدون، يسيل الدم فيها إلى ألجمة الخيل، أى ارتفاع بقارب المترين، والمسافة=

﴿ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴿٧٠﴾ وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم ﴿٧١﴾ ﴾

قل يا أيها النبى لأسرى معركة بدر: إن كان فى قلوبكم خير، فإن الله يعلمه وسيجازيكم خيراً بخير، ويعوضكم عما أخذ منكم، ويغفر لكم ما مضى من الشرك والآثام؛ لأن الله ﴿ غفور رحيم ﴾ وإن أضمر بعض الأسرى فى نفوسهم غدراً وخيانة فلا تحزن أيها النبى ﴿ فقد خانوا الله من قبل ﴾ عندما خانوا شهادتهم التى بينتها الآية ١٧٢ من سورة الأعراف، وعصوا الله بالشرك ﴿ فأمكن منهم ﴾ فنصركم عليهم ﴿ والله عليم حكيم ﴾.

* * *

﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير ﴿٧٢﴾ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴿٧٣﴾ ﴾

﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا ﴾ من مكة إلى المدينة ﴿ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ﴾ بذلوا أموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ﴿ والذين آووا ونصروا ﴾ المقصود الأنصار، فعندما جاء المسلمون مهاجرين من مكة إلى المدينة، آووهم فى مدينتهم وفى بيوتهم، ونصروا رسول الله (ﷺ) بهذا الإيثار فى معاملة المهاجرين، وفى القتال معه ﴿ بعضهم أولياء بعض ﴾ ينصرون بعضهم البعض، ويتكفلون ببعضهم البعض ﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من

= تبلغ بضع مئات من الكيلومترات، حتى يهبط المسيح، رسول السلام، بسلام، وتبدأ الألفية السعيدة.
وغنى عن القول أن تلك الدماء هى دماء العرب والمسلمين، ويفسرها الأصوليون المسيحيون بحرب نووية ـ يموت فيها ثلث البشر ـ ويسعون وراءها حتى يفوزوا بالخلاص، ويصمت المنافقون والذين فى قلوبهم مرض عن ذلك، أو يخرجون من حناجرهم بعض الذبذبات الفارغة.
من أراد الاستزادة يمكنه قراءة:
* الكتاب المقدس والاستعمار ـ القس مايكل بريور.
* تاريخ نهاية العالم ـ جوناثان كيرش.
* المسيح اليهودى ونهاية العالم ـ رضا هلال.
* أمة اليمين ـ جون ميكلثوايت، وأدريان وولد ريدج.
* الأصولية اليهودية فى إسرائيل ـ إسرائيل شاحاك ونورتون ميزفنسكى.
* أصول التطرف: اليمين المسيحى فى أمريكا ـ كيمبرلى بلاكر.
والكتب كلها من منشورات مكتبة الشروق الدولية.

﴿ وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾ لا توالوهم حتى يهاجروا، ولكن إن طلبوا منكم النصر فانصروهم، ولكن إذا استنصروكم على قوم بينكم وبينهم عهد أو ميثاق فلا تعينوهم فتنقضوا عهدكم ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فلا تخالفوا أمره ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ لأنهم متناصرون على الباطل، متعاونون على أذيتكم، فإياكم وموالاة الكفار ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ ﴾ إذا خالفتم أمرى فى موالاتكم لبعضكم البعض، والامتناع عن موالاة الكفار ﴿ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ فسيتغلغلون فى صفوفكم يبتغون الفرقة والفتنة، وسينتشر الفساد.

***

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥) ﴾

وعاد القرآن ليؤكد أن من آمن بالله وهاجر وجاهد فى سبيل إعلاء كلمة الحق، والذين آووا المهاجرين ـ وهم الأنصار ـ ونصروا رسول الله (ﷺ)؛ هؤلاء همُ المؤمنون حق الإيمان، فبشرهم ربهم بالمغفرة والرزق الطيب الحلال، وكذلك الذين آمنوا بعد هجرة النبى (ﷺ)، وجاهدوا فى سبيل الله معكم ﴿ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ﴾ مؤمنون مثلكم، توالونهم ويوالونكم ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ قال مخلوف: [أولو القرابات بعضهم أولى ببعض فى الميراث. نُسخ بهذه الآية ما كان بين المهاجرين والأنصار من التوارث بالهجرة والمؤاخاة، والله أعلم]، وقال غيره من المفسرين بعموم معنى الآية، وليس المقصود بها أحكام الميراث ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

***